رمزية البراءة في مواجهة القهر
قراءة في قصيدة» واحد اتنين سرجي مرجي»
للشاعر جمال بخيت([1]×)

د. إيمان كمال محمد
مدرس الأدب الشعبي بجامعة سوهاج.

هناك من ينظر إلى الأغنية الشعبية نظرة دونية بسبب لغتها العامية، ويرى أنها لا تستحق الدراسة، وهذه نظرة سطحية للأغنية الشعبية في حاجة للتعديل. فالأغنية الشعبية بشتى أنواعها خاصة أغنية الطفل الشعبية لها مكانة مميزة في الثقافة العربية، حيث تجمع بين الوظيفة التربوية، والإيقاع الغنائي، والحنين إلى الطفولة، وعندما توظف في الشعر العامي المصري لا توظف بوصفها عنصرًا لغويًّا أو تراثيًّا فحسب، بل بوصفها رمزًا للبراءة، والفقد والمقاومة للوجع والخذلان. وفي هذا السياق يتألق الشاعر جمال بخيت الذي استطاع أن يعيد أغنية الطفل الشعبية لموقعها الوجداني والفني داخل نص الشعري، مستخدمًا إياها بوصفها رمزًا مشحونًا بالدلالات النفسية والاجتماعية والسياسية. كما أن الشاعر في هذه القصيدة لا يعيد إنتاج الأغنية كما هي، بل يعيد إنتاجها محملًا إياها نقده للواقع المعاصر، فالأغنية التي كانت لترقيص الطفل تتحول في قصائده إلى وسيلة نقدية تعكس رؤى اجتماعية وسياسية خاصة في التعبير عن التسلط والظلم.

وقد وظف أغنية الأطفال «واحد اتنين» في قصيدة تحمل العنوان نفسه، واستخدم كلماتها رموزًا عبر من خلالها عن حياة العامل البسيط، كما استخدمها وسيلة للتهكم على تناقضات الواقع (الشايب- بنوتة)، سمات المصري البسيط المتدين بطبعه (نفسي أزورك يا نبي) وتكرار هذه الجملة للتأكيد على

---

1 * - هو شاعر مصري مولود في التاسع والعشرين من يناير لعام 1945 وهو خريج كلية الإعلام، قسم صحافة عام 1979، جامعة القاهرة، وقد اختارته الإذاعة المصرية أربع مرات متتالية ليكتب الأغنية التي تشارك بها في مسابقة الأغنية العربية التي يقيمها سنويا اتحاد الاذاعات العربية لجامعة الدول العربية، كافح بشعره وكتاباته في عهد الرئيس السابق حسني مبارك ضد التوريث، وتكميم أفواه المعارضة والفقر ومن أبرز قصائده التي اشتهر بها قصيدة ‹الواد كبر› و ‹دين ابوهم› وقصيدة ‹الفترة الجاية لسوهارتو› التي تناولت تأييد البعض لسوهارتو الرئيس الإندونيسي السابق، بعدما قامت عليه ثورة فقدم استقالته، وكان يقصد بتلك القصيدة الجماعات المؤيدة للرئيس المصري السابق حسنى مبارك بعدما تنحي عن الحكم بعد قيام ثورة 25 يناير مثل: ‹آسفين يا ريس› و‹أبناء مبارك› إضافة إلى قصيدة ‹ارجع بقى› والتي يشير فيها إلى اشتياقه إلى عهد الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر وقصيدة ‹فلسطيني› التي يساند فيها الشعب الفلسطيني المحتل في قضيته. انظر: مقال بقلم حاتم السروي بعنوان «جمال بخيت شاعر العامية وطني الهوى قومي التوجه» الجمعة 17 يناير 2014م.
موقع البوابة: https://www.albawabhnews.com/336082

الرغبة من التخلص من الهموم والمشكلات عند الروضة الكريمة.

قصيدة: واحد اتنين سرجي مرجي ([2])

أنْت حَكِيم ولا تَمَرْجِي؟

أنا حَكِيم غِيرِ الحُكَمَا..

العيَّانَة أدِّيها لُقْمة

والمَسْكِينا.. المَسْكِينا

من أحَبَابَنا وأهَالِينا؟

والمَسْكِينة.. المَسْكِينة

من أحبَابنا وأهالِينا؟

أدِّيها عُمْرِي بحاله

طَاهِر مِنْ غِيرأوْحَالُه

قَلْبِي وربِّنا أوْحَى له

فِين اشُوفك يا نَبي

يا اللِّي بِلَادَك بَعِيدَة

فيَها أحْمد وحميدة

حميدة جَابَتْ وَلَد

سَمَّته عَبْد الصَّمَد

كانَ تَرْحِيلة وكان بنّا

كان بين الآيات جَنَّة

كان بين الزهور حَنّة

كان بين الأيام عمري

كان م القرايب أبي

2 - محمد عبد الحليم: قصيدة واحد اتنين سرجي مرجي للشاعر جمال بخيت، 25يوليو 2014م، https://m.masralarabia.net

فين اشوفك يا نبي
يا للي بلادك بعيدة
فيها أحمد وحميدة

حميدة جابت إنسان

ضحكته كانت أوطان

والأوطان كانت صاحية

بتغني داير الناحية

بدوي وشامي ومغربي

فين أشوفك يا نبي

ياالي بلادك بعيدة

فيها أحمد وحميدة

يا ليالي وفي ليلة سواد

غشنا عبد الأسياد

وتمشى على المشاية

خطفت راسه النجماية

والنجمة لها ست أنياب

مغروسة في عين الأحباب

حب الشايب بنوتة

نقرت زوره الكتكوتة

والكتكوتة في بلدنا

زيها زي المدنى

صدقها ساعة ما تقول

الصبي خد عمر الغول

تسلم أيدين الصبي

تسلم أيدين الصبي

تسلم أيدين الصبي

وفين أشوفك يا نبي

يا للي بلادك بعيدة.

وظف الشاعر هنا الأغنية الشعبية وشحنها بمضامين تعبر عن ظروف وأحداث عصره، ناقدًا أحوال البلاد، رابطًا الماضي بالحاضر، وقد طرح الشاعر هذه المضامين عبر توظيف سمة الحوارية النصية، والتناوب بين الضمائر المتعددة، والرمزية حيث استخدم ضمير المتكلم تارة (أنا حكيم الصحية، المسكينا ...، أديها عمري بحاله)، وضمير المخاطب (أنت حكيم ولا تمرجي)، وضمير الغائب (كانت أوطان).

هذا فضلًا عن استخدام الشاعر للكلمات المؤنثة في القصيدة، التي وردت مذكرة في النص الأساس للأغنية، مثل: (العيانة، المسكينة) فضلًا عن غيرها من الكلمات التي أضافها الشاعر إلى الأغنية، مثل: النجماية، الكتكوتة، وذلك «للتأثير وإثارة العاطفة عن طريق تأكيد الميل إلى ما قل وصغر ورق، وحبب إلى النفس»[3]، فمن بديهيات القول إن المرأة هي رمز الضعف والرقة وهي عرض الرجل، فالعربي قديمًا كان يقيم الحروب إذا ما أهينت امرأة، فالرسول أقام حربًا على اليهود (غزوة بني قينقاع) بسبب إهانة يهودي لمرأة مسلمة[4]، وكذلك الخليفة العباسي المعتصم بالله فتح عمورية (223هـ)، بسبب فعل ملك الروم بأهل زبطرة، حيث ذكر الطبري في تاريخه أنه» سبا من المسلمات - فيما قيل - أكثر من ألف امرأة»، فاستعظم المعتصم الأمر، فسئل: أي بلاد الروم أمنع وأحصن؟

فقيل: عمورية، لم يعرض لها أحد من المسلمين منذ كان الإسلام، وهي عين النصرانية وبنكها، وهي أشرف عندهم من القسطنطينية[5].

والمرأة محببة إلى نفس الرجل، وأي حديث دار عن امرأة وجدت آذان الرجل له مصغية، وربما لهذا كان العربي يبدأ قصيدته بالغزل لجذب الانتباه إليه.

وقد وفق الشاعر في استخدم كلمة «النجماية»، وترمز النجوم دومًا إلى التطلع إلى ما هو بعيد المنال، إلى

3 - محمد العبد، اللغة والإبداع، القاهرة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2015م ص83.

4 - للتفصيل انظر: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: 213هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، ج2، ط2، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1955 م، ص48.

5 - انظر: الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، (وصلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ)، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري)، ج9، بيروت، دار التراث، ط2، 1387 هـ، ص75.

الأماني صعبة التحقيق، ويؤكد هذا قوله قبلها «خطفت راسه» والرأس مجاز مرسل علاقته محلية، فالرأس محل للعقل الذي يتطلع إلى كل ما هو ليس بيد الإنسان.

ثم استخدم المزاواجات المجازية المتمثلة في «الكتكوتة» رمز الضعف والصغر والبراءة، في مقابل «الشايب» رمز الكبر والمكر، توحي بالأسى الذي نشعر به حيال عدم التناسب بين الطرفين.

وكذلك المزاوجة المجازية بين الصبي الذي يوحي لنا بالضعف والصغر، فالصبي هنا قد يرمز للوطن المجروح، والغول يرمز للاستعمار والاستعباد ويوحي بالكبر والضخامة والهلاك، فالغول لغة: «غَالَه الشيءُ غَوْلًا واغْتَالَهُ: أَهلكه وأَخذه مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْر، والغُول: الْمَنِيَّةُ»([6])، التي توحي بالتفاوت العمري والعقلي والنفسي بين الشخصيتين.

والغول في الأدب الشعبي: «حيوان خيالي، وإذا أخذ الإنسان سلاحًا وضربه به فإنه يموت، وإذا ضربه ثانية يحيا»([7])، وهو يرمز في هذا السياق إلى الاستبداد والاستغلال، واضطهاد الإنسان للإنسان.

ومما يضفي جوًّا من الدهشة عندما نعرف في نهاية القصيدة أن الصبي مع ضعفه هذا يغلب ذلك الغول مع قوته ويقضي عليه «الصبي خد عمر الغول»، فلم يقل الشاعر قتل الغول، فربما تكون وسيلة القتل شيئًا لا يحتاج إلى المواجهة مثل السم مثلًا، بل استخدم الاستعارة بكل جمالياتها في التشبيه والتجسيد لجعل الشيء المعنوي ماديًا واضحًا، فشبه العمر بشيء مادي يؤخذ، ليفصح لنا عن مواجهة تمت بين الغول والصبي، وفاز فيها الصبي منتزعًا روح الغول عنوة. والتكرار في جملة «تسلم أيدين الصبي» يوضح فرح الشاعر بتغلب هذا الوطن على كل ما

6 – لسان العرب، مادة (غول).

7 – أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، القاهرة، دم، 2007م، ص288.

به من استبداد واستغلال واضطهاد.

والشاعر في قصيدته يتحدث عن الإنسانية عامة، بقوله «حميدة جابت إنسان»، بلغة تجذب القارئ، لغة جديدة، بابتكار الشاعر للمزاوجات الموظفة توظيفًا جيدًا، فنجد المزاواجات المجازية، إلى جانب المزاواجات الاسمية، التي تبنى من العنصرين الاسم والصفة، وهناك مجازات تتعاقب فيها الأسماء، فتبنى من اسم واسم، وقد تتكون أحيانا من محسوس + مجرد([8])، في قوله:

حميدة جابت إنسان

ضحكته كانت أوطان

فتلك المزاوجات التي عمد فيها الشاعر إلى الجمع بين كلمات تنتمي إلى حقول دلالية مختلفة، جعلت لغته تتسم بالجدة والغرابة.

ومن الصور الشعرية الجميلة تلك التي تظهر في جملة «العيان أديله لقمة»، فالشاعر هنا يقول إنه لا يوجد مرض أصعب من الجوع والفقر، فتوفر الطعام يعد كفيلًا بالقضاء على أمراض الفقراء من أبناء الطبقات الكادحة ممن لا توجد لهم نقابات تضمن لهم حقهم، كعمال الصرف وغيرهم، ممن لا تعدهم الدولة موظفين بها، فهم معدومو الدخل، وعليه فلا يصل إليهم شيء مما يحدث بشأن محدودي الدخل من رفع مرتبات، أو حوافز أو علاوات.

وكعادته في أعماله يتحدث الشاعر عن الإنسان العربي مع اختلاف مهنته، خاصة مهن الطبقات الكادحة المنسية، مثل عمال التراحيل، وعمال البناء، ومع اختلاف البلد، فجمع بين المتفرق في سطر واحد، في قوله «بدوي وشامي ومغربي»، وهم بالفعل بعيدون عن بعضهم، ويؤكد ذلك القول السائر، عند رؤية اجتماع شيئين بعيدين عن بعضهما البعض: «ايه اللي لمّ([9]) الشامي ع المغربي».

فتطرق الشاعر في قصيدته لموضوعات إنسانية بروح مصرية خالصة مستمدة من الواقع والموروث الشعبي، وموغلة في عاميتها واستخدم الألفاظ والمعاني المتجذرة في صميم الهوية المصرية، ورغم ذلك لازال بخيت محافظًا على نزعته القومية([10]). وإذا كان «الغموض خاصية من خصائص الشعر العربي، ولا يتسنى للشاعر تحقيق ذلك إلا من خلال استعمال تحميل المعنى الأول المتعارف عليه في القواميس

8 – انظر: محمد العبد، مرجع سابق، ص103.

9 – أي: جمع.

10 – انظر: بقلم حاتم السروي: بعنوان «جمال بخيت شاعر العامية وطني الهوى قومي التوجه» الجمعة 17 يناير 2014م. موقع البوابة: https://www.albawabhnews.com/336082

اللغوية بعدًا خياليًّا يصل الواقعي بالأسطوري([11]).

فالشاعر هنا نجح في توظيف الأغنية توظيفًا يختلف عن سياق الأغنية التي يرى كثير من القراء أنها أغنية عبثية، غرضها اللهو فقط، وهناك من حملها دلالات صوفية، فالشاعر هنا وظفها للتعبير عن حالة المجتمع تحت الاستعمار، كما أنه غير في مضمون الأغنية ووظف السمة الأسلوبية للاسم المؤنث والمجاوزات المجازية؛ ليولد دلالات جديدة تناسب واقعه بلغة مبتكرة متأثرًا في كل ذلك بلغة الأغنية الشعبية ومضمونها الإيحائي الغامض.

11 – انظر: فريدة سويزف، توظيف التراث في شعر صلاح عبد الصبور، مجلة عود الند، العدد 92، السنة الثامنة، www. oudnad.net .

قائمة المصادر والمراجع

أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، القاهرة، دم، 2007م.

الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، (وصلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ)، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري)، ج9، بيروت، دار التراث، ط2، 1387 هـ.

محمد العبد، اللغة والإبداع، القاهرة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2015م.

ابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين) (ت: 213هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، ج2، ط2، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1955م.

يعقوب الشاروني، التراث الشعبي وثقافة الطفل، مجلة الفنون الشعبية، ع83، (يوليو- أغسطس- سبتمبر)2009م

المواقع الإلكترونية

1- أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، القاهرة، دم، 7002م.

2- الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 013هـ)، (وصلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 963هـ)، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري)، ج9، بيروت، دار التراث، ط2، 7831 هـ.

3- محمد العبد، اللغة والإبداع، القاهرة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 5102م.

4- ابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين) (ت: 312هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، ج2، ط2، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 5591م.

5- يعقوب الشاروني، التراث الشعبي وثقافة الطفل، مجلة الفنون الشعبية، ع38، (يوليو- أغسطس- سبتمبر)9002م

المواقع الإلكترونية

6- أحمد إبراهيم الفقي: المسرح وتوظيف التراث الشعبي، 7/7/0102، ptth://www.
xpsa.65382/sweN/sretirW-eTh/evihcra/ge.gro.marha

7- مقال بقلم حاتم السروي بعنوان «جمال بخيت شاعر العامية وطني الهوى قومي التوجه» الجمعة 71 يناير 4102م. موقع البوابة: sptth://www.moc.swenhbawabla/280633

8- سامي بطة، جدلية العلاقة بين المسرح والتراث قراءة في (بلغني أيها الملك)، الأحد، 6 نوفمبر 1102م، moc.topsgolb.attabimaS.

9- فريدة سويزف، توظيف التراث في شعر صلاح عبد الصبور، مجلة عود الند، العدد 29، السنة الثامنة، ten.danduo.www

01- موقع مسرحنا «مسرحية في خمس لوحات»، 01 نوفمبر 4102م، anaharsam.www.
moc

11- مهاب درويش، الأدب المصري القديم وأقسامه، عبد الحليم نور الدين أستاذ اللغة المصرية القديمة، بكلية الآثار جامعة القاهرة، مكتبة الإسكندرية، صفحة مصريات، ص61، 71م.
nirdnaxelA acehtoilBiB
.fdp.7/6/acirfa/rvwen/ge.vog.sis.www//:ptth